أصول قرآنية للحوار مع الآخر

إعداد

الدكتور فضل الهادي وازين *

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد:

فهذا بحث موجز على منهج التفسير الموضوعي يتناول" بعض الأصول القرآنية للحوار مع الآخر" حاولت فيه معالجة أحد أبرز القضايا المثارة اليوم في الأوساط والمنتديات العلمية والثقافية وهي قضية الحوار بين الأديان والثقافات وموقف المسلم المعاصر منها. ولاشك أن قضية الحوار بين أتباع الديانات والثقافات إذا كانت من جانب من القضايا التي تحتل مساحة كبيرة من اهتمام المفكرين والعلماء في خريطة الفكر المعاصر عالميا وإسلاميا ، فإنها من جانب آخر من الموضوعات الدقيقة والشائكة والمعقدة التي كثرت فيها الأقوال، وتتعددت حولها الآراء، وتباينت في جزئياتها وتفاصيلها وجهات النظر ما بين مؤيد متفائل غال لا يعرف حدودا للحوار وثغورا لموضوعاتها غير مفرق بين الأصول الثابتة للدين والأحكام المتغيرة في الفقه عارضا كل شيء على طاولة الحوار وموائد

---

* – أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

المســـاومات، و بيـــن رافـــض متشائم لا يرى جدوى من الحوار والانفتاح على الآخر ظانا أن السلامة في التقوقع والانغلاق داخل الذات وسد النوافذ أمام العالم،و بيـــن هـــؤلاء وهـــؤلاء متحير متردد التبس عليه الأمر لا يقدر على التمييز بين الصـــواب والخطأ، وآخر واقف في الوسط يتعامل مع المسألة بحذر وموضوعية آخـــذا فـــي الاعتبار الأبعاد الإيجابية والجوانب السلبية مراعيا في موقفه ضوابط الدين ومقتضيات العقل، محاولا الجمع بين الصحيح المنقول والصريح المنقول .

وانطلاقـــا من هذه المواقف تعددت الكتابات حول الحوار والقضايا المتصلة بهـــا وفـــي تلك الكتابات – بطبيعة الحال- غث وسمين، وصحيح وسقيم، والباب مفتوح للمزيد.

وما يجده القارئ في هذه الوريقات هي محاولة متواضعة للبحث عن أصول للحـــوار مـــع الآخـــر في القرآن المجيد والعثور على ضوابط حاكمة في منطلقاته ومساره.

ولعـــل الجديد الذي في هذه المحاولة – إن كان هناك من جديد- كونها أول دراسة مستقلة عن أصول الحوار وضوابطه في القرآن الكريم على طريقة التفسير الموضـــوعي – حسب علمي واطلاعي- فالقرآن هو أساس الإسلام ومنطلقه، وكل أمر في هذا الدين صغيرا كان أم كبيرا يبدأ منه وإليه يعود.

والله أسأل أن يتقبل هذا الجهد المقل وينفع به كاتبه وقارئه إنه تعالى قريب سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحوار:

أ – في اللغة:

أصل الحوار من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.

معنى الحوار في اللغة: "تراجع الكلام"[1]، وفي لسان العرب:"وهم يتحاورون" أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: "مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" [2].

وقال الراغب الأصفهاني:

"المحاورة والحوار: المراودة في الكلام ومنه التحاور"[3].

وقد وردت المعاني المذكورة لكلمة الحوار في سياق الآيات الكريمة التي تضمنت مادة "حور" قال تعالى ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾[4]، قال الإمام القرطبي في تفسيره للآية: أي: لن يرجع حياً مبعوثاً... فالحور في كلام العرب الرجوع "[5].

وقال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[6] قيل في تفسير الآية: "تراجعكما"[7] أي في الكلام.

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[8] قيل في تفسير هذه الآية:"أي يراجعه في الكلام ويجاوبه. والمحاورة المجاوبة، والتحاور: التجاوب"[9].

---

[1]- تاج العروس للزبيدي ١٦٢/٣؛ ومعجم مقاييس لابن الفارس اللغة ١١٧/٢.

[2] - لسان العرب ٢١٨/٤.

[3] - مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٦٢.

[4] - سورة الإنشقاق آية ١٤.

[5]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٣/١٠.

[6]- سورة المجادلة آية ١.

[7]- تفسير الجلالين ٧٢٤/١.

[8]- سورة الكهف آية ٣٤.

[9] - الجامع لأحكام القرآن ٤٠٣/١٠.

وقد جاءت مادة الحور في الأحاديث النبوية الشريفة بمعنى الرجوع ومن ذلك قوله فيما رواه يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ "[1] أي: **رجع عليه**[2].

وأخرج النسائي في سننه عَنْ عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ سَرْجِسَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَافَرَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ"[3]. **ومعنى الحديث أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – كان يستعيذ من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة**[4].

وقد اتضح أن المعنى اللغوي لكلمة الحوار يدور حول المراجعة في الكلام بين شخصين أو طرفين أو أكثر، والمحاورة هي تداول الكلام بين طرفين أو أطراف.

---

[1] – صحيح مسلم كتاب الإيمان، والبخاري في كتابي المناقب، والأدب، وابن ماجه في كتاب الأحكام، والإمام أحمد في مسنده.

[2] – شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٥٠.

[3] – أخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة، حديث ٥٤٨٩، ومسلم في كتاب الحج، والترمذي في كتاب الدعوات، وابن ماجه في كتاب الدعاء حديث ٣٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة حديث ٣١٣٦، والدارمي في كتاب الاستئذان.

[4] – انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٧٣.

ب- في الاصطلاح:

وأما التعريف الاصطلاحي للحوار فقريب من معناه اللغوي، وقد عُرّف بأنه: "مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة"[1]، وعُرّف بأن الحوار: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي" [2].

ومما قيل في تعريف الحوار: "أنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[3].

ويتبين من هذه التعريفات أن المحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً "[4].

وقيل: "الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء كانت تبادلاً رسمياً أم غير رسمي، مكتوباً أم شفوياً، وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها... "[5].

---

[1]- أصول الحوار ص٩، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

[2]- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص ٣، ط: دار المنارة.

[3]- الحوار الإسلامي المسيحي، تأليف بسام دواد عجك، ص ٢٠، ط: دار قتيبة ١٤١٨هـ.

[4]- الحوار مع أتباع الأديان- مشروعيته وآدابه، للدكتور منقذ بن محمود السقا، ص٤، رابطة العالم الإسلامي.

[5]-الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه، للدكتور أحمد سيف الدين التركستاني، ص١٠.

ويمكن أن نعرف الحوار بأنه "تبادل للرأي والفكر بين طرفين أو أطراف وفق ضوابط محددة لدوافع وأغراض مختلفة ".

مصطلحات قريبة من الحوار:

ثمة مصطلحات قريبة من الحوار مثل "الجدل" و"المناظرة" و"المحاجة" و"المناقشة" و"المباحثة"، وقد تستخدم بعض هذه المصطلحات مكان الحوار أو في معناه الاصطلاحي. وقد فرق بعض أهل العلم بين الحوار وهذه المصطلحات:

الجدل:

قيل في تعريف الجدل بأنه: "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة"[1].

وعرف ابن منظور الجدل بمعنى المخاصمة والمناظرة قائلاً:"الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"[2].

ومما قيل في تعريف الجدل بأنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة" [3].

وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهو قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً والمحمود فيه مرادف للحوار أو قريب منه ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

[1] – الكافية في الجدل، للجويني، ص ٢١.

[2] – لسان العرب ١٢/١٠٥.

[3] – التعريفات للجرجاني، ص ١٠٢.

بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، **وقوله سبحانه** ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[2]، **وقد فسرت المجادلة بالمحاورة**[3]، **وبهذا المعنى"الجدال صورة من صور الحوار وقد أمر بها الله ورسوله...** " [4].

المناظرة:

والمناظرة أيضاً صورة من صور الحوار وهي تفيد النظر والتفكر والبحث عن الحق عبر المحادثة وتبادل الرأي مع الآخرين ولذلك عرفها الجرجاني بأنها: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"[5].

وعرفها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بقوله:

"المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق" [6].

حث القرآن الكريم على الحوار مع الآخر:

وقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلفة فيها.

---

[1] – سورة النحل آية ١٢٥.

[2] – سورة المجادلة آية ١.

[3] – انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/٨٤.

[4] – الحوار مع أتباع الأديان، ص ٦.

[5] – التعريفات، ص ٢٨٩.

[6] – آداب البحث والمناظرة، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ٢/٣.

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] **فهذه الآية الكريمة ونظائرها تشكل الأرضية الصلبة التي يمكن تأسيس الحوار عليها للوصول إلى الحق.**

ومن يتدبر الآيات القرآنية المتعلقة بالحوار يجد بكل وضوح أن القرآن الكريم قد تناول القضايا الأساسية في الحوار مثل: أسباب الحوار ودوافعه وأغراضه وأنواعه، وأصناف المحاورين ،وأخلاقيات الحوار ودائرته وأصوله وضوابطه، وما إلى ذلك. ومن يتأمل تلك الآيات يخرج برؤية قرآنية واضحة حول الحوار.

أهمية الموضوع:

ولمعرفة أصول الحوار وضوابطه أهمية كبيرة لأن هذه الأصول هي التي تضبط مسار الحوار، وتوجهه نحو الوصول إلى الهدف المنشود ولذلك كان الواجب على كل محاور مسلم أن يكون على معرفة بها ويجعلها نصب عينيه حينما يدخل في الحوار مع الآخر.

ونظراً لوسعة الموضوع وصعوبة الحديث عن كافة جوانب الحوار وأبعاده في بحث واحد، سنحاول فيما يلي من سطور -بعون الله وتوفيقه- دراسة بعض أصول الحوار مع الآخر وأعني به غير المسلمين في ضوء الآيات القرآنية وفق منهج التفسير الموضوعي.

---

[1] - سورة آل عمران آية ٦٤.

١ - الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية:

من الأصول الثابتة في الإسلام الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - منذ فجر تاريخ البشر على وجه المعمورة وكلف الأنبياء -عليهم والسلام - بتبليغها والدعوة إليها. قال تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[١]، فالإيمان بجميع الأنبياء - عليهم السلام - من مستلزمات العقيدة الإسلامية ولن يكون المسلم مسلماً إذا لم يؤمن بالأنبياء - عليهم السلام - جميعاً. ولاشك أن هذا الإيمان يشكل أساساً لتعامله مع الآخرين من أهل الكتاب، قال تعالى ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢] فأصل الإيمان برسالات الأنبياء السابقين في صورتها الحقيقية البعيدة عن التحريف والتبديل يشكل نقطة الانطلاق لدى المسلم في نظرته للآخر غير المسلم من أهل الكتاب وغيرهم والتحاور معهم.

ومن يحاور أتباع الأديان السماوية يجب أن يضع هذا الأصل نصب عينيه فالأديان السماوية في أصولها الصحيحة ودعوتها إلى الإيمان بمبادئ الحق والخير والعدل واحدة، وكان الاختلاف في التفاصيل والجزئيات الفرعية التي اقتضتها مراعاة تطور البشرية وتقدمها العقلي والحضاري.

---

[١] - سورة البقرة آية ٢٨٥.

[٢] - سورة البقرة آية ١٣٥.

قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1]، **وبناء على هذا الأصل الذي يضبط الحوار من بدايته تتحدد علاقة المسلم بشكل عام والمسلم المحاور بشكل خاص بغيره في نقطتين:**

أولاً: إنه يقر بما صح نزوله على الأنبياء السابقين بمعنى أنها في الأصل من عند الله – عز وجل– قال تعالى: ﴿ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) ﴾[2]، **هذه الآيات تقرر وحدة أصل الدين ووحدة الحق الذي اشتملت عليه الكتب المنزلة من عند الله تعالى كالتوراة والإنجيل قبل أن تعبث بهما أيدي التحريف والتبديل، ولذلك أنزل الله تعالى القرآن** ﴿ ...بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ..﴾ **أي للتوراة والإنجيل، وهذه الكتب الإلهية القرآن والتوراة والإنجيل غايتها واحدة وهي هداية الناس** ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

وهذا الكتاب الأخير أي القرآن هو "الْفُرْقَانَ " بين الحق الذي تضمنته الكتب المنزلة السابقة والباطل المتمثل في الانحرافات والشبهات التي ألحقت بتلك الكتب بفعل الشهوات والشبهات وعبث أيدي التحريف والتبديل.

ثانياً: ضرورة إقامة الدين الحق ونبذ الافتراق من خلال تصحيح التحريفات الحاصلة في الكتب السماوية السابقة وذلك من خلال عرض محتويات تلك الكتب على أسس ومبادئ الأديان المتفق عليها من الحق والتوحيد والخير والعدل

---

[1] – سورة الشورى آية ١٣.

[2] – سورة آل عمران الآيات ٢–٤.

والأخلاق والتي جاءت في القرآن الكريم في أوضح وأدق صورها. وهو – أعني القرآن – قيَم ومهيمن على الكتب السابقة.

ولاشك أن إدراك أصل وحدة الأديان السماوية من قبل المتحاورين والشعور بارتكاز تلك الأديان على المبادئ المشتركة مؤثر إيجابي على سير الحوار منذ البداية حيث أن الجميع ينطلقون من أرضية مشتركة توفر لهم قدراً كبيراً من الشعور بالتفاهم والتفهم.

٢ – الانطلاق من المشتركات:

يجمع الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية أتباع هذه الأديان ويمكن أن يكون ذلك أساسا لحوار جاد وهادف بينهم حيث يوفر ذلك أرضية مشتركة للجميع للانطلاق. ومن هنا كان من أصول الحوار في القرآن الكريم أن يبدأ المحاور المسلم حواره مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب منهم من النقاط المشتركة التي عبر عنها التنزيل بـــ " كلمة سواء ". قال سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

ولاشك أن تحديد النقاط المشتركة بين المتحاورين منذ البداية والبدء بها يساعد على تشخيص نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ومن ثم محاولة معالجتها بروية وتدرج.

كما أن العناية بالمشتركات يسهم في تقليل الفجوة بين طرفي الحوار أو أطرافها وتزيد من فرص التلاقي ودرك كل طرف لما لدى الطرف الآخر. كما أن

[1] – سورة آل عمران آية ٦٤.

من شأن البدء بالنقاط المشتركة إزالة سوء التفاهم بين الطرفين أو الأطراف حول بعض النقاط التي لا توجد عليها خلاف في الأصل ولكن نظراً لعدم تحديد موقف كل طرف منها منذ البداية تعرقل سير الحوار وتمنع وضوح الروية وتؤثر على قضايا أخرى في الحوار.

كما أنه لا يمكن إغفال التأثير الإيجابي للانطلاق من النقاط المشتركة على نفسيات المتحاورين والهدوء الذهني والفكري الذي يستمتعون به إذا ما بدءوا حوارهم في جو من الهدوء بدلاً من أجواء يسودها التوتر والنفسي والذهني منذ البداية.

والكلمة السواء الذي ذكره القرآن قد فسر بأنه ما لا يختلف فيها الرسل والكتب، أي القرآن والتوراة والإنجيل[1]، ويفسرها ما بعدها وهي عدم عبادة غير الله وعدم جعل الشريك له تعالى وعدم اتباع البشر كائناً من كانوا فيما أحدثوا من تحليل وتحريم[2].

والجميع يقف أمام كلمة سواء على مستوى واحد فلا يعلو أحد على أحد ولا يتعبد أحد أحداً، وهي كلمة عدل كما قال الطبري[3] ولا يرفض الدعوة إلى البدء من النقاط المشتركة إلى من كان متعنتا مفسدا لا يريد الرجوع إلى الحق القويم[4].

إن هذه الآية الكريمة تشكل أساساً وأصلاً ثابتاً للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فهي تدعو الجميع، المسلمين واليهود والنصارى[5]،

---

[1]- انظر: تفسير مدارك التنزيل النسفي١/ ١٦٢ ط دار الكتاب العربي –بيروت١٩٨٨ م.

[2]- انظر: تفسير البيضاوي المطبوع على حاشية شيخ زاده ٦٣٥/١ط دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.

[3]- تفسير الطبري ٢١٣/٣ط دار المعرفة – بيروت ١٩٨٠م.

[4]- انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب٤٠٦/١ ط دار الشروق – بيروت ١٩٨٨م.

[5]- الآية وإن كانت في سياق الحديث مع النصارى إلا أن كلمة أهل الكتاب تشمل اليهود والنصارى في الآية كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين.

إلى الكلمة المتفق عليها بين جميع الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وليست مختصة بأحد دون الآخر بل هي مشتركة بين الجميع وهذا الموقف في منتهى العدل والإنصاف في الحوار والجدال.

٣- هيمنة القرآن الكريم على الكتب المنزلة السابقة:

إن الإيمان بكون القرآن مهيمناً على جميع الكتب المنزلة السابقة من الأصول الثابتة في الدين الإسلامي لأن القرآن هو آخر كتاب أنزله الله تعالى لهداية البشر وبه انتهت سلسلة الوحي وانقطع إرسال الرسل. ولمعرفة هذا الأصل المهم أثرها الواضح في قضية التعامل مع الآخر غير المسلم عموماً وفي مجال الحوار على وجه الخصوص. ويجب أن لا يغيب هذا الأصل عن بال المحاور المسلم وهو يدخل غمار الحوار مع الآخر.

قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى بالحق أي بالصدق ولا كذب فيه فهو مصدق ومؤتمن وشهيد وشاهد وأمين ورقيب وحاكم وحافظ لجميع الكتب السابقة على اختلاف عبارة مفسري السلف في بيان معنى الهيمنة[2].

وبما أن القرآن كتاب لا يصير منسوخاً البتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قال تعالى:

---

[1] – سورة المائدة آية ٤٨.

[2] – انظر: تفسير الطبري ٦/١٧٢-١٧٣ وتفسير ابن كثير ٢/٦٥.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] **وقوله سبحانه** ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]، **فشهادته على أن التوراة والإنجيل والزبور حق وصدق - في الأصل قبل التحريف والتبديل- باقية أبداً وبذلك حقيقة هذه الكتب تكون معلومة أبداً**[3].

قال ابن كثير في تعليقه على أقوال المفسرين في معنى المهيمن:

"هذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل بحفظه بنفسه الكريمة"[4].

وانطلاقاً من هذا الأصل القرآني على المحاور المسلم -- وهو يحاور الآخر -- أن يكون واعياً لما يقبل وما يرفض أثناء الحوار من آراء الطرف المقابل وميزانه في ذلك كله القرآن الكريم. فالقرآن بناء على الآية الكريمة بالنسبة لما قبله من الكتب "مؤيد لبعض ما في الشرائع، مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق أي محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة"[5].

---

[1] - سورة الحجر آية ٩.

[2] - سورة فصلت آية ٤٢.

[3] -انظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي١١/١٢ط طهران - بدون تاريخ وبدون دار النشر.

[4] - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/٦٥.

[5] - التحرير والتنوير، لابن عاشور.

ولاشك أن إدراك المحاور المسلم لهذه الحقيقة واستشعاره لأبعادها قبل الحوار وأثناء الحوار وخلال التدرج في منعطفا ته يمنعه من الوقوع في منزلق تقديم التنازلات والتقارب مع الآخر ومجاملته على حساب المبادئ والثوابت التي لا يملك أحد – كائناً من كان – التفريط فيها. فالقرآن هو الصورة الأخيرة لدين الله – عز وجل – وله المرجعية العليا في كل شيء من عقيدة وشريعة ونظام ومنهج، ويجب رد كل اختلاف إلى القرآن ليقول فيه الكلمة الأخيرة سواء كان هذا الاختلاف في التصورات العقدية بين أتباع الديانات السماوية أو في الشريعة التي جاء القرآن بصورتها الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف داخلياً بين المسلمين أنفسهم، ولا قيمة لآراء الناس ما لم تستند إلى هذا المرجع الأخير[1].

٤- معرفة دائرة الحوار:

من الأصول والضوابط القرآنية للحوار أن لا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها. فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساساً بنص شرعي أو إجماع. وهذا الأصل مبني على آيات مثل قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[2].

---

[1] – انظر: في ظلال القرآن٢/٩٠٢.

[2] – سورة الأحزاب آية ٣٦.

ومن القضايا التي ليس محل الحوار والجدال البحث في ذات الله تعالى، فهذا منهي عنه شرعاً لأن ذلك من باب القول في شيء بلا علم، والعلم شرط أساس من شروط الحوار. قال تعالى ﴿ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1].

ومن الأمور التي لا تدخل في دائرة الحوار مع الآخر غير المسلم المسائل التي حكم الله تعالى ورسوله فيها بنص محكم جلي أو أجمع عليها علماء الإسلام، وبالجملة كل ما يحرم الحديث فيه شرعاً لا يجوز الحوار والجدال مع الآخر غير المسلم في شأنه، ومن هنا جميع الأحكام والثوابت الدينية تخرج عن دائرة الحوار لأجل إعادة النظر فيها أو تقويمها أو تغييرها [2].

وبناء على هذا الأصل لا يمكن للمحاور المسلم أن يحاور الآخر غير المسلم في مسائل مثل الإيمان بربوبية الله تعالى، والعبودية له جلّ وعلا، وكونه تعالى متصفا بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عن جميع صفات النقص ،وكذلك نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وكون القرآن وحيا منزلاً من عند الله – عز وجل –، ووجوب الحكم بما أنزل الله، وحرمة الربا والخمر والزنا، وحجاب المرأة وإقامة الحدود الشرعية فكل هذه القضايا ثابتة ومقطوع بها في الإسلام، لذلك لا يجوز أن تكون محل الحوار والجدال بهدف إعادة النظر أو التعديل فيها، قال سبحانه وتعالى ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ﴾[3]. فعلى سبيل المثال الحكم بما أنزل

---

[1] – سورة الإسراء، الآية ٣٦.

[2] – انظر: الحوار مع أصحاب الأديان– مشروعيته وشروطه وآدابه، للدكتور أحمد سيف الدين التركستاني، ص ٣٨

[3] – سورة آل عمران آية ٦٠.

الله منصوص عليها بآيات كقوله تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

وعندما نقول أن القضايا المقطوعة في الدين ليست محلاً للحوار والجدال نعني إثارتها على موائد الحوار سواء كان في وسائل الإعلام أو غيرها بقصد إثباتها وصلاحيتها وإعادة النظر فيها وتقويمها وتغييرها فهذا هو المنهي عنه. أما إذا كان القصد النظر في حكمها وأسرارها وبيان ذلك للناس وليس في صلاحيتها وملاءمتها فهذا لا حرج فيه.[2]

وهنا مسألة مهمة يجب الإشارة إليها أن كثيراً من القضايا المحسومة في الدين مثل قضايا الحجاب، وتعدد الزوجات ،والجهاد، وتحريم الزنا والخمر والربا، وغيرها هي مسائل منبثقة من قضايا أصولية يجب الاتفاق عليها قبل الدخول في الأمور المتفرعة عنها لأن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه تعتبر نوعاً من الجدل العقيم في كثير من الحالات.

وعلى سبيل المثال: فلو كان الآخر غير المسلم لا يؤمن مثلاً بيوم القيامة والحساب أو عنده أساساً غبش وشك في وجود الله تعالى وصفاته، وبدأ يحاور في قضية تحريم الخمر أو الربا أو حجاب المرأة المسلمة أو في تعدد الزوجات والجهاد– وهي كلها من القضايا المثارة اليوم في ميادين الهجوم الفكري وموائد الحوار– لا يمكن الوصول معه إلى نتيجة ولابد من الحديث معه في أصل دين الإسلام لأنه لو اقتنع بالأصل لا يبقى مجال للنقاش في كثير من الجزئيات المنبثقة عنه.

---

[1] – سورة النساء آية ٦٥.

[2] – انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص٨.

وبناء على هذا الأصل يجب على المحاور المسلم أن يكون على وعي ودراية بما يجوز فيه الحوار مع الآخر وما لا يجوز حتى لا تكون ثوابت الإسلام وقطعياته محلاً للأخذ والرد ومجلبة للتنازلات والمساومات.

٥- العزة الإيمانية والجهر بالحق والثبات عليه:

الشعور بعزة المؤمن والجهر بالحق والثبات عليه أصل قرآني آخر من الأصول التي يجب أن يستند عليه الحوار. والأصل في هذا قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١]، وقوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٢]، فالمؤمن يخوض الحوار مع الآخر من منطلق الشعور بعزة الإيمان وقوة الحق الذي يؤمن به ويتمسك به، ولاشك أن هذا الشعور يزيده طمأنينة وثقة بالنفس أثناء الحوار ويمنعه من الوقوع في فتح المجاملات الزائفة وتقديم التنازلات المهينة.

والمحاور المسلم يستمد قوته من قوة الإسلام، والعزة الإيمانية ليس معناها العناد والاستكبار على الحق وإنما هو خضوع لله تعالى وخشيته، لأن الشعور بعزة المؤمن يجعل الطرف المسلم في الحوار يجهر بالحق ويصدع به دون تردد. ويكون واضحاً في بيان الحقائق وهو ينطلق في كل ذلك من نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا

---

[١] - سورة المنافقون آية ٨.

[٢] - سورة آل عمران آية ١٣٩.

لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، **وقوله جل وعلا** ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[2].

وفي الجهر بالحق يتأسى المحاور المسلم بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما أمره الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] **وقوله** ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[4].

ووجوب الجهر بالحق دون لبس وغموض وغبش يصحبه استشعار خطورة كتمان حقائق الدين فقد حذر الله تعالى الذين يكتمون حقائق الدين بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[5]، **كما حذر عز من قائل أهل الكتاب من تزوير الحق قائلاً** ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6].

وإذا كان من أهم أهداف الحوار مع الآخر توضيح الحقائق وبيانها فإن المداهنة والمجاملة الزائفة المبنية على تلفيق المواقف والأفكار وتغطية الحقائق وتزويرها يتناقض مع غاية الحوار وغرضه لأن كتمان الحقائق وقلبها أو التعامل

---

[1] – سورة يونس آية ٣٥.

[2] – سورة يونس آية ٣٢.

[3] – سورة الحجر آية ٩٤.

[4] – سورة آل عمران آية ١٨٧.

[5] – سورة البقرة آية ١٥٩.

[6] – سورة آل عمران آية ٧١.

الانتقائي مع المعلومات حسب الهوى لا يخدم في بناء الأرضية الصلبة للحوار والتدرج في مراحله بأي حال من الأحوال.

٦- البدء بالأهم والتدرج:

ولكي يكون الحوار جدياً ومنتجاً ينبغي أن يبدأ المتحاورون من أهم الموضوعات ثم التدرج في الحوار على هذا النسق. ولاشك أن اتباع هذا الأسلوب سيجنب المتحاورين ضياع الوقت والجهد كما يساعدهم على معالجة القضايا الكلية التي تتحكم في الفرعيات والتفاصيل الجزئية.

ويمكن استنباط هذا الأصل من حوار الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم فقد بدأ الأنبياء - عليهم السلام - حوارهم من أهم قضية وهي توحيد الألوهية ودعوة الناس إلى عبادة الله تعالى لأنها هي الأساس لكل ما يأتي بعدها. وقد تكررت هذه الدعوة على لسان أكثر من نبي ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله جل وعلا عن رسوله سيدنا ثمود عليه السلام ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذه نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقوله سبحانه عن نبيه مدين عليه السلام ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ

---

[1] - سورة الأعراف آية ٦٥.

[2] - سورة الأعراف آية ٧٣.

بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1]، ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [2]، **فقد بدأ بها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام.**

كما أن إبراهيم – عليه والسلام – قد اتبع أسلوب التدرج والتنزل مع الخصم في حواره مع قومه لإقناعهم بالإيمان بتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك. قال سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [3]، **وهذا على وجه التنزل مع الخصم والذي تقتضيه التدرج في الحوار ومعناه ربي بزعمكم** ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ [4]، **فقام بإبطال عبادة الكواكب، ثم تدرج على الأسلوب نفسه في إبطال عبادة القمر والشمس حتى انتهى إلى بيان الحق في وجوب عبادة الله تعالى ونبذ الشرك به كلياً، يقول الحق سبحانه** ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٦٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٦٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٦٩) ﴾.

وفي سيرة رسول الله – ﷺ – وتدرج الدعوة الإسلامية عبر مراحل مختلفة ومواكبة القرآن لهذا التدرج تأكيد واضح وصريح على أصل البدء بالأهم والتدرج

---

[1] – سورة الأعراف آية ٨٥.

[2] – سورة الأعراف آية ٩٥.

[3] – سورة الأنعام آية ٧٦.

[4] – سورة الأنعام آية ٧٦.

في الحوار. ويُعد إرسال رسول الله – ﷺ – لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن وتوصيته لهما بالتدرج في دعوة أهلها إلى الإسلام بالابتداء من أصل الأصول أي التوحيد ثم التدرج بمطالبتهم بأداء الصلاة ثم الزكاة ثم بقية أركان الإسلام، تعد هذه التوصية النبوية نموذجاً واضحاً لهذا الأصل وتفسيرا عمليا لموقف القرآن الكريم من أصل التدرج في الحوار.

٧ – الكلام المبني على الحجة والبرهان:

من أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبر هان. ولكي يكون الحوار منتجا ومفيدا لابد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لابد من صحة الدليل ودقة النقل، فقد قيل:" إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل."

وعناية القرآن الكريم بالدليل والبرهان وجعله معيارا للقبول والرد في كل شيء سواء في الأفكار والمعتقدات، أو الأحكام والمبادئ أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال.

ومن خلال نظرة سريعة إلى الآيات المباركة التي تشتمل على كلمات "البرهان" و"السلطان" و"الحجة"، نجد أن القرآن يدعو دائما إلى إقامة الدليل والبرهان كأساس لقبول الأمور وردها:

قال تعالى آمرا نبيه– ﷺ – بمطالبة الكفار بالدليل ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]، وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم.[2]

---

[1] – سورة البقرة آية ١١١.

[2] – انظر مثلا سورة النمل آية ٦٤.

وقال تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي... ﴾[1].

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير الآية الأولى:

"دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفيا أو إثباتا فلا بد له من الدليل والبرهان ..."[2]، ونقل البقاعي قول الحرالي في تفسير الآية قائلا:

"وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين ودليل على أن كل قول لا برهان عليه باطل."[3]

ومن يتدبر القرآن يجد بكل وضوح أن كلمات "البرهان"، و"السلطان" و"الحجة" قد وردت في مواضع كثيرة منه وتتعلق كثير من هذه الآيات المباركة بحوار النبي – ﷺ – مع الكفار ومطالبته– عليه السلام– إياهم بأمر من الله تعالى بتقديم الأدلة والبراهين لإثبات عقائدهم وتبرير مواقفهم من القضايا المثارة للخلاف.

ويحذر القرآن الكريم المشركين من ارتكابهم الشرك بلا دليل وبرهان فيقول:

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[4]. **وفي موقف آخر يطالب القرآن المشركين بالبرهان عندما يعبدون مع الله آلهة أخرى** ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن

---

[1] – سورة الأنبياء آية ٢٤.

[2] – التفسير الكبير للرازي.

[3] – نظم الدرر للبقاعي.

[4] – سورة المؤمنون آية ١١٧.

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]، **وفي موقف مشابه آخر ينكر القرآن في صيغة التعجب والإنكار اختلال الموازين لدى المشركين حول قضايا الإيمان بالله والملائكة فيقول** ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ(١٥٦) ﴾[2].

ويمنع القرآن الكريم من الخوض والجدال في آيات الله بغير علم فيقول ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [3] **ويقول سبحانه أيضا** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[4].

ويذكر القرآن تفاهة العقائد والآراء التي لا تستند على دليل ولا برهان فيقول في معرض الرد على المشركين:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ... ﴾[5].

ومما ينبغي الالتفات إليه في هذا الصدد أن عددا من الآيات المتعلقة بالحوار في القرآن الكريم يبدأ بفعل الأمر "قل" ومن خلال تدبر مضامين هذه الآيات

---

[1]- سورة النمل آية ٦٤.

[2]- سورة الصافات الآيات من ١٥٤-١٥٦.

[3]- سورة غافر آية ٣٥.

[4]- سورة غافر آية ٥٦.

[5]- سورة النجم آية ٢٣.

الكريمة يتضح أن الله – جلّ وعلا- يأمر نبيه -عليه الصلاة والسلام- وأمته بإقامة الدليل ويعلمهم طرق ذلك أثناء الحوار مع الآخرين[1].

ولن يكون دليل وبرهان إلا بالعلم بموضوع الحوار وأبعاده ولذلك كان العلم أصلا وضابطا آخر للحوار في القران الكريم.

٨- العلم:

لا يخفى شرف العلم وفضله في القرآن الكريم وكذلك مكانة العلماء وطلبة العلم، فالعلم طريق الإيمان ودليل التوحيد الذي هو أصل الأصول في أمور الدين كله.

قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ....﴾ [2].

ومن يتصدى للحوار مع الآخر لابد له من التسلح بالعلم، خاصة العلم بموضوع الحوار وتشعباته لأن الجهل بموضوع الحوار وأساسياته يؤدي بالمحاور إلى الجدال في شيء لا يدرك جذوره وخلفياته وأبعاده،كما أن على المحاور أن يكون مدركا لوجهة نظر الطرف الآخر حتى لا يتكلم في أمور خارجة عن دائرة موضوع الحوار .وقد جعل القرآن الكريم العلم من الأمور الضرورية التي يجب توفرها في المحاور، وعاب على من يجادلون في الأمور بغير علم. قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [3]، كما أمر الله – عزّ وجل- المسلمين أن يحاوروا بعلم وبصيرة وهدى

---

[1] – ورد فعل أمر "قل" (٣٤٣) مرة في القرآن، وفي كثير من المواضع هو متصل بالحوار.

[2] – سورة محمد آية ١٩.

[3] – سورة الحج آية ٨.

فقال، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وغني عن القول أن المحاور المسلم يجب أن يكون على دراية بالعلوم الشرعية من القرآن والسنة لأن الكلام في الدين وبيانه والدفاع عنه يستلزم ذلك بلا شك.

٩-الالتزام بالأخلاق الحسنة:

من الأصول التي يضعها القران الكريم للحوار مع الآخر التزام المحاور المسلم بالأخلاق الحسنة خلال الحوار نذكر بعضها بإيجاز:

أ-المحاورة بالحسنى :

من أهم وأبرز أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في القران الكريم التزام المحاور المسلم بأصل الحوار بالحسنى والابتعاد عن الغلظة والقسوة والعنف أثناء المناقشات.قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [2].

الحوار الهادئ يفتح القلوب للحق والإذعان له ويجعل الكلام يؤثر في النفس ،بينما القسوة والغلظة تجلب النفور وتؤدي إلى ابتعاد الناس عن صاحب الدعوة والمحاور ولذلك وصف الله تعالى رسوله الكريم- ﷺ - بأنه بعيد كل البعد عن

---

[1] - سورة الحج آية ٨.

[2] - سورة النمل آية ١٢٥.

القسوة والغلظة فقال ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1] .

وهذه الآية الكريمة تكشف عن مفتاح مهم من مفاتيح نجاح دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وسيطرتها على النفوس والقلوب، وفيه – عليه الصلاة والسلام- أسوة حسنة لكل داع ومحاور في الالتزام بالحسنى خلال الحوار وتجنب كل أنواع الغلظة والمواقف العنيفة.

وفي آية أخرى أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بمحاورة أهل الكتاب بالحسنى فقال جل وعلا ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

ب-الصبر والحلم:

ومن أخلاقيات الحوار أن يتسم المحاور المسلم بالصبر والحلم والابتعاد عن الغضب وأن لا يستفز مهما كان الموقف. قال تعالى آمرا نبيه عليه- الصلاة السلام – بإعذار الناس وترك الغلظة عليهم: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [3].

---

[1] – سورة آل عمران آية ١٥٩.

[2] – سورة العنكبوت آية ٤٦.

[3] – سورة الأعراف آية ١٩٩.

ولاشك أن العفو أعلى درجة من كظم الغيظ ورد الغضب لأن العفو هو ترك المؤاخذة وطهارة القلب والتسامح مع المسيء ومغفرة خطيئته.

ج-الرحمة والشفقة:

ومن أدب الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم أن المحاور المسلم يجب أن يكون حريصا على ظهور الحق وشفيقا على من يحاوره لأنه يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم ولا يجوز له أن يجعل الحوار وسيلة للانتقام والكيد وفرصة للتنفيس عن الأحقاد ونشر العداوة والغل.

الشفقة والرحمة وسيلة المحاور للنفوذ إلى عقل الطرف الآخر وقلبه، ولذلك قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [1].

وهذه الرحمة والشفقة على الآخرين كان من دأب الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام -والصالحين من أتباعهم في التعامل والحوار مع المخالفين ،فهذا مؤمن آل فرعون يصرح لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موقف، قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾[2]، كما قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [3].

المحاور المسلم رفيق وشفيق على الطرف الآخر لأنه يريد الخير له ولمن وراءه وذلك من خلال بيان الحق والوصول إليه فهو حريص كل الحرص أن يتخذ

---

[1] - سورة آل عمران آية ١٥٩.

[2] - سورة غافر آية ٣٠.

[3] - سورة غافر آية ٣٢.

كل وسيلة شرعية ونبيلة لتحقق هذا الغرض ومن هذه الوسائل الرحمة والرأفة والشفقة التي يجب عليه التحلي بها في جميع المواقف.

د- مقابلة السيئة بالحسنة:

ومن أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم كون المحاور المسلم يقابل الشدة بالرأفة، وفحش الكلام بطيبه، ويرد الكلمة الجارحة بالكلمة اللينة ويدفع الاحتقار بالاحترام.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾[1].

فهذا أمر صريح من الله تعالى للداعية والمحاور المسلم بأن يكون في مستوى أرفع أثناء حواره مع الآخرين وذلك بالترفع عن الانتقام ومعاملة المثل بالمثل في فحش الكلام والشدة والاحتقار والسخرية ولاشك أن ذلك لا يتأتى إلا باتصاف المحاور المسلم بالصبر والحلم والبلوغ إلى درجات عليا من الخير والخلق الحسن .

١٠-توخي العدل والإنصاف:

الإسلام دين العدل وأكد على الالتزام بالعدل والإنصاف في المواقف كلها. قال الله عز وجل آمرا المؤمنين ﴿ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[3].

[1]- سورة فصلت الآيتان ٣٤-٣٥.

[2] - سورة المائدة آية ٨.

[3] - سورة النحل آية ٩٠.

ولا يجوز للمسلم أن ينحرف عن جادة العدل مهما كانت الظروف وعليه أن يراعي الإنصاف مع الصديق والخصم والمسلم والكافر على حد سواء، قال تعالى ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ ﴾ [1].

١١- الحرص على طلب الحق:

لا يجيز القران الحوار إلا لبيان الحق، وإقناع الآخرين به، وإتمام الحجة عليهم وإذا كان الأمر هكذا فالحرص والتجرد لطلب الحق بعيدا عن أي مؤثر آخر هو أصل من أهم و أبرز أصول الحوار ويمكن للتحقيق هذا الأصل أن يفترض المحاور المسلم –ولو نظريا– احتمال ثبوت الحق على لسان الطرف الآخر.

قال تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [2].

ويجب اتباع الحق بصرف النظر عن الذي ينطق به ولا يجوز بأي حال من الأحوال الانحراف عنه أو رفضه، قال تعالى﴿ أَفَمَنْ يَّهْدِيْ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُّتَّبَعَ أَمَّنْ لاَّ يَهِدِّيْ إِلاَّ أَنْ يُهْدَى ...﴾[3]، ورفض الحق ليس إلا ضلالا وانحرافا بنص القرآن الكريم ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾[4].

---

[1]- سورة المائدة آية ٨.

[2]- سورة سبا آية ٢٤.

[3]- سورة يونس آية ٣٥.

[4]- سورة يونس آية ٣٢.